صورة من مخطوطة الجواهر والدرر للسخاوي

كانت حافلة جدا شهدها ما بين مئين الوف ولكن لو كان بدمشق من الخلائق
نظير من كان ببغداد بل أضعاف ذلك لما تأخر أحد منهم عن شهود جنازته
وأيضا فجميع من كان ببغداد إلا الأقل كانوا يعتقدون إمامة الإمام أحمد
وكان أمير بغداد وخليفة الوقت إذ ذاك في غاية المحبة له والتعظيم بخـ
ـلاف ابن تيمية فكان أمير البلد حين مات غائبا وكان أكثر من بالبلد من
الفقها قد تعصبوا عليه حتى مات محبوسا بالقلعة ومع هذا فلم يتخلف
منهم عن حضور جنازته والترحم عليه والتأسف عليه إلا ثلاثة أنفس
تأخروا خشية على أنفسهم من العامة ومع حضور هذا الجمع العظيم فلم
يكن لذلك باعث إلا اعتقاد إمامته وبركته لا بجمع سلطان ولا غيره
وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنتم شهود الله في الأرض
ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة من العلما مرارا بسبب أشيا أنكروها
عليه من الأصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس
بالقاهرة ودمشق ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته ولا حكم
بسفك دمه مع شدة المتعصبين عليه حينئذ من أهل الدولة حتى حبس
بالقاهرة ثم بالإسكندرية ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه وكثرة
ورعه وزهده ووصفه بالسخا والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر
الإسلام والدعا إلى الله تعالى في السر والعلانية فكيف لا ينكر على من أطلق أنه
كان كافر بل من أطلق على من سماه شيخ الإسلام الكفر وليس في تسميته بذلك
ما يقتضي ذلك فإنه شيخ الإسلام بلا ريب والمسائل التي أنكرت عليه ما
كان يقولها بالتشهي ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عنادا
وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبري منه ومع
ذلك فهو بشر يخطي ويصيب فالذي أصاب فيه وهو الأكثر يستفاد منه
ويترحم عليه بسببه والذي أخطأ فيه بل هو معذور لأن أئمة عصره
شهدوا له بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه حتى كان أشد المتعصبين
عليه القائمين في إيصال الشر إليه وهو الشيخ كمال الدين الزملكاني يشهد
له بذلك وكذلك الشيخ صدر الدين ابن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره
ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان أعظم الناس قياما على أهل البدع من الروافض
والحلولية والاتحادية وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة وفتاويه فيهم
لا تدخل تحت الحصر فيا قرة أعينهم إذا سمعوا تكفيره ويا سرورهم إذا رأوا

من يكفره من اهل العلم فالواجب على من تلبس بالعلم وكان له عقل ان يتأمل كلام الرجل
من تصانيفه المشهورة او من السنة من يوثق به من اهل النقل فيفرد من ذلك
ما ينكر فيحذر منه على قصد النصح ويثني عليه بفضائله فيما اصاب من ذلك
كدأب غيره من العلماء ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب الا تلميذه الشهير
الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة
التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته
فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم ايمة
عصره من الشافعية وغيرهم فضلا عن الحنابلة فالذي يطلق عليه مع
هذه الاشياء الكفر او على من سماه شيخ الاسلام لا يلتفت اليه ولا يعول في
هذا المقام عليه بل يجب ردعه عن ذلك الى ان يراجع الحق ويذعن للصواب
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل

ومنه ما كتب به قبل ذلك في سنة ثلاث وثلاثين وثمانماية على مصنف
المذكور شرح عقود الدرر في علوم الاثر ونصه اما بعد فقد مررت على هذا
التاليف البديع المثال العزيز المنال الجامع لما تفرق فيما سواه البالغ من الاحاطة
بالفن الامد المتناه فحمدت الله تعالى على ما من به من وجود هذا الحافظ الفريد
حتى احيا بشبهه هذا الفن الغريب ونشره وقربه بعد التعسير والتبعيد وحرره
احتوى على معنى باهر وصدقه قولهم كم ترك الاول للاخر والله تعالى
اسال ان يبقيه لهذا الشان الذي صار جميع اهله في درجة القلة حتى يكثروا
ببركته فنعتز بوجوده الملة وقد كتبت هذه على كتابه موهمات
على سبيل التذكرة احقق بها الذي هذا الحافظ الشهير ميتهن واساله
الاغضاء عما لعله وقع فيها من سقط زل به القلم من غير روية لان من شانه
قبول المعذرة

وله ايضا على منظومته في الحفاظ وشرحها ما اسلفته في الباب الذي قبله
ومنه ما كتب به على وجهه المختار من رهة المحتاج نظم فرائض المنهاج
للشيخ ناصر الدين محمد بن يوسف بن سويك المترلي

ومنه ما كتب به على شرح منهاج البيضاوي للعلامة الكمال امام الكاملية
اما بعد فانني نظرت في هذا الكتاب الذي حسن موقعه من ذوي الابصار